سلسلة نُبَذ (١٢)

عظات عقيدية

التقليد

بقلم

قداسة البابا شنوده الثالث

الطبعة الأولى **مارس ٢٠١٩**

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

قداسة البابا شنوده الثالث في سطور

١- وُلِدَ في ٣ أغسطس ١٩٢٣م، باسم نظير جيد روفائيل. في قرية سَلاَّم بأسيوط.

٢- حصل على ليسانس الآداب - قسم التاريخ - من كلية الآداب جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا).

٣- التحق بالقوات المسلحة - مدرسة المشاة - وكان أول الخريجين من الضباط الاحتياط سنة ١٩٤٧م.

٤- تخرج من الكلية الإكليريكية "القسم المسائي" سنة ١٩٤٩م، وكان الأول على الخريجين - فعُيِّنِ مُدرّسًا فيها.

٥- عمِلَ مُدَرِسًا للغة الإنجليزية والعربية، في إحدى المدارس الأجنبية.

٦- أتقَنَ الشعر منذ ١٩٣٩م، وكتب كثيرًا من القصائد الشعرية.

٧- في سنة ١٩٤٩م: تَكَرَّسَ للخدمة في الكلية الإكليريكية وبيت مدارس الأحد في روض الفرج بشبرا، وتولى رئاسة تحرير مجلة مدارس الأحد.

٨- صار راهبًا في دير العذراء الشهير بالسريان في ١٨ يوليو ١٩٥٤م.

٩- تمت سيامته بيد البابا كيرلس السادس، أول أسقف للتعليم والكلية الإكليريكية والمعاهد الدينية، باسم الأنبا شنوده في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢م.

١٠- بدأ الاجتماعات الروحية التعليمية منذ سنة ١٩٦٢م، واستمر

فيها حتى نياحته سنة ٢٠١٢م.
١١- أصـــدر مجلة الكرازة في يناير ١٩٦٥م، واســـتمر في تحريرها حتى نياحته سـنة ٢٠١٢م (واسـتمرّ قداسـة البابا المُعَظَّمْ تواضـروس الثاني في إصدارها).
١٢- اختارته السـماء بالقرعة الهيكلية وتمَّ تجليسـه البابا الـــــ١١٧ للكنيسة القبطية الأرثوذكسية يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧١م.
١٣- نَمَتْ الكنيسة القبطية في عهده، داخل مصر وخارجها؛ في كل قارات العالم: أفريقيا وآســيا وأوروبا وأســتراليا والأمريكتين: الشــمالية والجنوبية.
١٤- حصـل على تسـعة شـهادات دكتوراه فخرية من كبرى جامعات أمريكا وأوروبا.
١٥- امتدت الكلية الإكليريكية في عهده، وأصـــبح لها ١٦ فرعًا في مصر وخارجها.
١٦- كتب أكثر من ١٥٠ كتابًا في كثير من المجالات الكتابية والروحية، واللاهوتية والعقائدية وفي الخدمة والرعاية والتربية.
١٧- قامَ بسيامة بطريركين لكنيسة إريتريا و٥ مطارنة و١١٢ أسقفًا وأكثر من ٢٠٠٠ كاهن و١٠٠٠ راهب.
١٨- قامَ برحلات رعوية ورسمية لكثير من بلدان العالم، وصلت إلى أكثر من ٨٠ رحلة.
١٩- رقد في الرب في ١٧ مارس سـنة ٢٠١٢م ، نيحَ الله نفسـه في فردوس النعيم، ونَفَعْنا بصلواته.

التقليد[1]

مفهوم التقليد

التقليد في الكنيسة هو التسليم الرسولي والتسليم الآبائي، أي ما تسلَّمناه من الأجيال السابقة مما لم يُكتب صراحة في الكتاب المُقدَّس، ولكنه لا يختلف في شيء ولا يتناقض مع ما ورد في الكتاب المُقدس.

ولا أُريد أن أقول أن التقليد هو مصدر للتعليم إلى جوار الكتاب المقدس، إلى جوار الإنجيل، إنما أقول أن التقليد في مجموعه هو الإنجيل غير المكتوب، أي أنه التعليم الشفاهي الذي علَّمه المسيح لتلاميذه وسلَّموه للأجيال دون أن يكتبوه في رسائل أو أناجيل.

يُضاف إلى هذا، المسائل التي قرَّرت فيها الكنيسة تعليمًا يتَّفق مع روح الإنجيل، وأقرَّته المجامع المقدَّسة.

والواضح أن الرسل القديسين لم يكتبوا كل ما قاله السيد المسيح ولا كل ما فعله، إنما اختاروا من كل ذلك ما يثبت لاهوت المسيح وعمله الفدائي وتعليمه الروحي وتركوا الباقي. وقد اعترف يوحنا الرسول بقوله في (يو٢١: ٢٥) "وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ – وَأَشْيَاءُ أُخَرُ

[1] محاضرة لقداسة البابا شنوده الثالث بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٨٢م

كَثِيرَةٌ – صَـنَعَهَا يَسُـوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْـتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَـهُ يَسَـعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ"، وكرَّر هذا المعنى تقريبًا في (يو٢٠: ٣٠، ٣١) التي قال فيها: "وَآيَاتٍ أُخَرَ كَثِيرَةً صَـنَعَ يَسُـوعُ قُدَّامَ تَلاَمِيذِهِ لَمْ تُكْتَبْ فِي هذَا الْكِتَابِ. وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُـوعَ هُوَ الْمَسِـيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ".

إذًا، لا تظنوا أن معجزات المسـيح هي المُعجزات التي وردت في الإنجيل فقط، فآلاف المعجزات لم تُكتب. يكفي ما ورد في إنجيل الغروب من (لو٤: ٤٠) "وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّـمْسِ، جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سُـقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ، فَوَضَـعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَـفَاهُمْ".. يضـع يديه على كل واحد فيشـفيهم.. طبعًا هذه المعجزات لم تُكتب في الإنجيل.

ومُعجزات الشـفاء بالجملة لم تُذكر، خذوا مثلاً (مت٤: ٢٣) حيث يقول عن المسـيح إنه كان: "يَكْرِزُ بِبِشَـارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْـفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْب". وبالطبع (يشفي كل مرض) تعني معجزات بالجملة، ولم تُذكر.

كذلك ليس فقط ما يختص بالمعجزات، إنما أيضًـا ما يختص بأقوال المسيح نفسه لم تُذكر.. كان يكرز ببشارة الملكوت ولم يقل

ما الكلام الذي قاله في هذه الكرازة، مثلاً في إنجيل (مر ١: ٢١) يقول أنه في كفرناحوم: "دَخَلَ الْمَجْمَعَ .. وَصَارَ يُعَلِّمُ. فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ". ولكن ما هو هذا التعليم الذي قاله في كفر ناحوم؟ نحن لا نعرف.

في معجزة الخمس خبزات والسمكتين كان المسيح يُعلِّم طول النهار حتى بدأ النهار يميل، ولكن لم يذكر الإنجيل ماذا قاله المسيح في كل تلك الفترة.. لم يذكر الإنجيل التعليم الذي قاله المسيح على شاطئ البحيرة أو على شاطئ النهر أو في إحدى السفن أو في الطرقات أو في البيوت.. كما حدث في قصة المفلوج، زحام شديد والمسيح داخل البيت يتكلَّم.. ما هو هذا الكلام؟ لسنا نعلم.

ثلاث سنين تقريبًا كان يتكلم فيها السيد المسيح. ما حصيلة كلامه في الثلاث سنوات؟ لسنا نعلم. نشكر الله أن متَّى سجل لنا العظة على الجبل، وهي كمثال لكلام السيد المسيح. ويوحنا الإنجيلي الذي كتب إنجيله بعد سنة ٩٠ ميلادية، أي متأخرًا كثيرًا عن باقي الأناجيل، أورد مُعجزات للمسيح لم تُكتب في الأناجيل السابقة، وأورد أحاديث للمسيح لم ترد في الأناجيل السابقة. مثال لذلك حديث المسيح مع نيقوديموس في (يو٣)؛ حديثه مع السامرية في

(يو٤)؛ حديثه مع اليهود (يو٥-٨)، وفيها الكلام عن التناول وأشياء أخرى .

أيضًا حديثه عن كونه الراعي الصالح في (يو١٠)؛ حديثه مع التلاميذ يوم الخميس الكبير (يو ١٣-١٦)؛ صلاته الكبيرة في (يو١٧).. كل هذه ليست مكتوبة في الأناجيل الأخرى. عندما كتب متَّى ومرقس ولوقا لم يذكروا تلك الأمور.

هناك أشياء كثيرة وأمور مهمة إلى جوار المعجزات التي قالها يوحنا ولم ترد في أي إنجيل آخر، مثل معجزة عُرس قانا الجليل في (يو٢) لم ترد في أي إنجيل آخر؛ وشفاء مريض بيت حسدا صاحب الـ ٣٨ سنة لم ترد في أي إنجيل آخر؛ وشفاء المولود أعمى في (يو٩) لم ترد في أي إنجيل آخر؛ وإقامة لعازر في (يو١١) لم ترد في أي إنجيل آخر؛ وصيد السمك الكثير بعد القيامة لم ترد في أي إنجيل آخر.. إلى آخره.. أشياء كثيرة.

إذًا هناك أشياء قالها السيد المسيح لتلاميذه لم تُكتب في الأناجيل، وأعمال عملها لم تُكتب في الأناجيل، بل إن السيد المسيح قضى مع تلاميذه أربعين يومًا يُحدِّثهم عن الأمور المُختصة بملكوت الله..

ما هي هذه الأمور؟! ما هو حديث المسيح؟! لم يرد شيئًا مُطلقًا

عن ذلك في الإنجيل. بل إن المسيح عندما قابل تلميذي عمواس، يقول الكتاب: "ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ" (لو٢٤: ٢٧).. ما هذا الشرح الإلهي؟ وما هذه الأمور؟! لسنا نعلم!! لم ترد في الإنجيل.

† † †

التسليم الرسولي

هذا التعليم الشفاهي الذي للسيد المسيح، أين ذهب؟!! هل فُقِد إلى الأبد؟! كلّا بلا شك. لقد وصل إلينا على الأقل الكثير منه عن طريق التقليد.. وما الدليل على ذلك؟ الدليل هو قول السيد المسيح لتلاميذه قبل صعوده: "اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ – وماذا أيضًا – وَعَلِّمُوهُمْ جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ".. (وعلموهم جميع ما أوصيتكم به). ما أوصاهم به ولم يرد في الإنجيل هذا علَّموه للناس. كل ما يختص بملكوت الله الذي قاله السيد المسيح لتلاميذه وصل إلى الناس عن طريق التقليد. ولعلَّ من الأمثلة الجميلة لهذا الأمر قول القديس بولس الرسول في حديثه عن سر الإفخارستيا: "لأَنِّي تَسَلَّمْتُ مِنَ الرَّبِّ مَا سَلَّمْتُكُمْ أَيْضًا" (١كو١١: ٢٣).

ما تسلَّمه الرسل سلَّموه للآباء الأساقفة المُعاصرين لهم، وسلَّموه

عمليًا للجيل كله. وتتابع التسليم كما يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس في (٢تي٢: ٢) "وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءَ أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ أَيْضًا". يعني بولس يسلّم تيموثاوس، وتيموثاوس يسلّم أناس أكفاء، وناس أكفاء يسلّموه لغيرهم، ويتتابع التسليم.

† † †

السيد المسيح لم يُقدم كتابًا للناس، إنما قدَّم روحًا، تعليمًا.. "اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ".. تحوَّل كلامه إلى حياة في الكنيسة، وهذه الحياة انتقلت من جيل إلى جيل حتَّى وصلت إلينا.

أودَعه السيد المسيح في قلوب تلاميذه وآذانهم وأذهانهم، ومن كنز قلبهم الصالح، من ذاكرتهم المُقدَّسة أخرجوا أقوال المسيح وسلَّموها للكنيسة، وأُودعت في الكنيسة فيما يُسمى "التقليد" أو "التسليم الرسولي".

هذا التسليم الرسولي ليس هو مُجرَّد تعليم الكنيسة ولا فكرها، إنما هو كلام السيد المسيح المحفوظ في الكنيسة. إلاّ طبعًا الأشياء الجديدة التي احتاجت إلى تشريع في ضوء تعليم المسيح.

† هنا ونورد ملاحظةً بسيطة، وهي أن أول إنجيل كُتب كان بعد

قيامة السيد المسيح بسنوات طويلة! فكيف عاشت الكنيسة خلال تلك الفترات. لم يكن هناك إنجيل، إنما كان هناك التقليد، كان هناك التسليم الرسولي، وكان هذا يكفي.. بل أُريد أن أقول لكم أكثر من هذا أن كلمة الإنجيل أول ما عُرفت في الكتاب المُقدس كانت تعني الكرازة الشفاهية وليست الكرازة المكتوبة، والدليل على ذلك ما قيل في إنجيل مُعلمنا مرقس الرسول (مر ١: ١٤، ١٥) يقول: "وَبَعْدَمَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللهِ، وَيَقُولُ: قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ". السيد المسيح يقول ذلك: "تُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ" (مر ١: ١٥). ولم يكن وجد إنجيل، لكن كان هذا التعليم الشفاهي هو الموجود والمقصود به الإنجيل.

وكما بدأت كرازة السيد المسيح بالحديث عن هذا الإنجيل الشفاهي، انتهت هكذا قبل صعوده بنفس الكلام في (مر١٦: ١٥) حيث قال السيد المسيح للتلاميذ: "اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا".. اكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها.. ولم يكن هناك إنجيل مكتوب، وإنما كان يقصد بالإنجيل الكرازة الشفهية.

السيد المسيح أودع تعليمه في أذهان التلاميذ ولما صعد إلى السموات أرسل لهم الروح القدس وقال لهم عن الروح القدس،

"وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو١٤: ٢٦)، حتى أن الكلام الذي يكتبونه يكون هو ما يُذكِّرهم الروح به ..

† ونُلاحظ أيضًا، إثباتًا لهذا، قول السيد المسيح في (مر٨: ٣٥) "مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا"، وأيضًا: "وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا".. طبعًا فى ذلك الوقت لم يكن هناك إنجيل مكتوب، فكل الأناجيل كتبها الرسل بعد قيامة المسيح بسنوات عديدة جدًا. **إذًا فالمقصود بالإنجيل البشارة المُفرحة.. الكرازة الشفهية**.. هذا الإنجيل الشفاهي الذي عُرف قبل الإنجيل المكتوب.. وهذا الإنجيل الشفاهي، ورد لنا في التقليد. حينما نتكلَّم إذًا عن هذا التقليد الرسولي لا نقصد مُجرَّد تعليم الرسل، مع أن لهم سلطان التعليم، ولكن نقصد الكلام الذي أخذوه من المسيح وسلَّموه للناس. على أن التقليد الرسولي لم يكن فقط التعاليم التي تركها لنا الرسل، إنما كان أيضًا المُمارسات الكنسية التي سلَّمها الرسل للكنيسة عمليًا وعاشتها الكنيسة وسلَّمتها للأجيال دون أن يكتُبها الرسل في كتاب أو رسالة، وإنما سلَّموها شفاهًا وممارستها الكنيسة عمليًا، مثل: القدَّاسات، العماد، كل طقوس الكنيسة، كل أسرارها. هذه الأمور عاشتها الكنيسة وسلَّمها جيل إلى جيل بالمُمارسة وليس بالتعليم، أو بالمُمارسة والتعليم

معًا.. كلام قاله السيد المسيح للرسل ومارسوه فتحوَّل إلى حياة وانتقلت هذه الحياة من جيلٍ إلى جيل ..

لا يقل أحد أُريد نصًا كتابيًا، فالمسيحية ليست مُجرَّد نصوص، إنما هي حياة. هذه الحياة انتقلت من جيلٍ إلى جيل.

انظروا إلى عبارة لطيفة تدل أيضًا على معنى الإنجيل في ذلك الزمان.. في قصة المرأة التي سكبت قارورة الطيب على السيد المسيح في بيت عنيا في بيت سمعان الأبرص. كما وردت في (مت٢٦: ١٣)، قال لهم: "اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ.. حيثما يُكرز بهذا الإنجيل.. فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا". وطبعًا كان يقصد بالإنجيل تعليمه غير المكتوب، لأنه لم يكن إنجيل مكتوب في ذلك الوقت، وعلينا أن نعرف أن تعليم المسيح كله الذي سلَّمه للتلاميذ من الصعب أن نقول إنه اندثر وضاع، وإنما علَّمه التلاميذ للناس طبقًا لوصية المسيح: "علِّموهم جميع ما أوصيتكم به".

إذًا تعليم الرسل هو ما أوصى به المسيح، هو الإنجيل الشفاهي غير المكتوب.

لا شك أن كثيرًا من الناس في العصر الرسولي آمنوا بالمسيحية وعاشوا في تعاليمها، وربما استُشهدوا من أجلها دون أن يقرأوا

إنجيلًا واحدًا.. مثال هؤلاء القديس إسطفانوس رئيس الشمامسة.. لم يكن في أيامه أناجيل مكتوبة.. ولعلنا نذكر في تاريخ المسيحية الأولى أن القديس إسطفانوس رئيس الشمامسة استُشهد قبل أن يرى أي إنجيل من الأناجيل الأربعة، وكذلك يعقوب بن زبدي أحد الاثنى عشر الذي قتله هيرودس استُشهد قبل أن يرى أي إنجيل من الأناجيل الأربعة الموجودة.

† † †

ليست المسألة إذًا نص من الإنجيل، إنما حياة، عاشها الرسل وسلَّموها للأجيال..

وكما قلت إن تعليم المسيح لم يُكتب كله ولا كُتب شيءٌ منه في حياته على الأرض بالجسد، كذلك أقول أن تعاليم الرسل حتى الاثنى عشر لم تُكتب كلها. بل إن كثيرًا من الرسل لم يكتب أناجيل ولا رسائل، فأين تعليم أندراوس، وتوما، ونثنائيل، ومتياس، ويعقوب الكبير، وغيرهم؟ أين تعاليم كل هؤلاء؟ لم يُكتب لنا تعليم منهم.. يهوذا الرسول أحد الاثنى عشر غير الإسخريوطي لم يكتب لنا غير إصحاح واحد (الرسالة من إصحاح واحد)، وبالطبع لا يمكن أن يكون هذا كل تعليم يهوذا.. بطرس الرسول لم يصل

لنا من تعليمه غير الرسالتين وبعض عظات في سفر أعمال، أين باقي تعليمه الذي استمر من سنة ٣٤ حتى ٦٧، أي ٣٣ سنة؟ ماذا قال فيهم بطرس؟ لا نعرف تعليم الرسل هذا مكتوبًا، لكنه وصل إلينا عن طريق التقليد.

بولس الرسول نفسه مع أنه أكثر من كتب من الرسل يقول أنه صعد إلى أورشليم وقابل أعمدة الكنيسة يعقوب وبطرس ويوحنا في (غلا٢: ١-٢)، يقول: "وَإِنَّمَا صَعِدْتُ بِمُوجَبِ إِعْلاَنٍ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمِ الإِنْجِيلَ الَّذِي أَكْرِزُ بِهِ".. عرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به..! هل هناك إنجيل كتبه بولس؟ كلمة إنجيل هنا تعني الكرازة الشفهية بنفس المعنى الذي قلناه من قبل.

وفي نفس الرسالة في (غلا١: ١١، ١٢) يقول بولس الرسول: "وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ.. وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ"، ولا يوجد عندنا شيء اسمه إنجيل بولس لكن هذا هو التعليم الكرازي الشفهي.. ويتحدَّث بولس عن إنجيله أيضًا في (رو٢: ١٦) طبعًا يقصد الإنجيل الشفاهي. كان الرسل يبشِّرون ويملأون الدنيا بكلام التعليم والكرازة، ولم يصل إلينا كل كلامهم بل جزء ضئيل جدًا جدًا من كلامهم.. نشكر الرب على ما كتبوه .

كانوا يدخلون إلى المجامع ويُحاججون الناس، ولم يصـــل إلينا شـيء من هذا. بشَّروا أورشليم واليهودية والسامرة حتى آمن الكل، ولم تصل إلينا إلا كلمات قليلة من ذلك.

بل بولس الرســول الذي كتب أكثر من غيره ١٤ رســالة قيل أنه اســتأجر بيتًا في روما.. اســتأجر بيتًا في روما.. وأقام فيه كارزًا بملكوت الله ومُعلمًـا بكـل مُجـاهرة في (أع ٢٨: ٣٠، ٣١)، ولم يصــل إلينا شــيء من هذا كله.. ظل ســنتين في البيت يكرز ولا نعرف شيئًا عنهما.

† أين ذهب تعليم الرســل هل فنَى واندثر وضــاع؟ غير معقول.. وصـــل إلينا الكثير منه عن طريق التقليد.. وهل حقًا أن الإنجيل الذي وصل إلينا هو كل كلام المسيح وغير ذلك نُعاديه؟!

انظروا أيضًـا يوحنا الرسول يقول في آخر رسالته الثانية: "إِذْ كَانَ لِي كَثِيرٌ لأَكْتُبَ إِلَيْكُمْ، لَمْ أُرِدْ أَنْ يَكُونَ بِوَرَق وَحِبْرٍ، لأَنِّي أَرْجُو أَنْ آتِيَ إِلَيْكُمْ وَأَتَكَلَّمَ فَمًا لِفَمٍ"، ونفس الكلام كرَّره في آخر رســالته الثالثة أيضًا، قال لهم: "وَلكِنَّنِي أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ عَنْ قَرِيبٍ فَنَتَكَلَّمَ فَمًا لِفَمٍ". هذا الكلام "فمًا لفم" لم يصـــل إلينا مكتوبًا طبعًا، وهذا يدل على أن الرســل كانوا يفضِّـــلون الكلام أكثر من الكتابة. ونفس الوضــع قاله بولس الرسـول في رسـالته إلى أهل كورنثوس الأولى

(١كو١١: ٣٤): "وَأَمَّا الأُمُورُ الْبَاقِيَةُ فَعِنْدَمَا أَجِيءُ أُرَتِّبُهَا"، ولم يُذكر هذا الترتيب الرسولي الذي لم يصل إلينا مكتوبًا، ولعلَّه أيضًا وصل بالتقليد.

† † †

التقليد منذ العهد القديم

ونفس الكلام أيضًا يُمكن أن نقوله بالنسبة إلى العهد القديم، كيف عاش الناس في العهد القديم آلاف السنين قبل أن توجد شريعة مكتوبة؟! هذه حقيقة.. أقدم شريعة كُتبت للناس هي أسفار موسى الخمسة. (أسفار موسى الخمسة: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية). هذه الأسفار كُتبت ما بين ١٥٠٠ و١٤٠٠ قبل الميلاد زمن حياة موسى. وآلاف السنين التي قبل هذا، كيف كان الناس يعيشون؟ لم يعيشوا بشريعة مكتوبة، إنما عاشوا بالتقليد.. وصايا الله يُسلِّمها جيلٍ إلى جيل، وكيف ذلك؟!

خذوا المثال الآتي:

ورد في الكتاب المُقدَّس عن هابيل البار، أنه قدَّم لله مُحرقة من أبكار غنمه ومن سِمانها، وشرح بولس الرسول هذا الأمر بقوله: "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ" (عب١١: ٤).. وهنا نسأل من أين عرف هابيل فكرة الذبيحة، وأنها من الأفضل

أن تكون من أبكار الغنم ومن سمانها؟ من أين عرف فكرة الذبيحة ولم ترد آية مُطلقًا عن تقديم الذبائح إلا بعد أن جاء موســـى؟ في سفر الخروج تكلَّم عن ذبيحة الفصح وفي سفر اللاويين تكلَّم عن الذبائح الأُخرى، لكن أيام هابيل من أين عرف؟ **قطعًا هابيل أخذها بالتقليد عن آدم، وآدم أخذ الفكرة من الله.** ونفس الكلام نقوله أيضًـــا عن الذبائح التي قدَّمها نوح وإبراهيم وإســحاق ويعقوب ولم تكن هناك شـــريعة مكتوبة تتحدَّث عن الذبائح، وإنما أخذوا ذلك عن التقليد .

بل انظروا أيضًـــا مســـألة عجيبة جدًا وجميلة أن نوحًا البار قدَّم مُحرقات للرب من الحيوانات الطاهرة والطيور الطاهرة. فمن أين عرف نوح مســـألة الحيوانات الطاهرة من غيرها، وأن الذبائح تُقدَّم من هذه الحيوانات الطاهرة؟ من أين عرف؟! طبعًا بالتقليد.

نذكر بعض أمثلة أخرى:

في قصة مُقابلة أبينا إبراهيم لملكي صادق، قيل عن ملكي صادق أنه كاهن الله العلي في (تك١٤: ١٨)، وهنا نســأل من أين عُرف هذا الكهنوت الذي أتاح لملكي صـــــادق أن يُبارك أبانا إبراهيم (تك١٤: ١٩)، والذي جعل إبراهيم يقدِّم العشـــور لملكي صـــادق (تك١٤: ٢٠)، ويُعتبر ملكي صـــــادق بهذا أكبر من إبراهيم كما

ورد في (عب٧: ٦، ٧)؟ في ذلك الحين لم تكن هناك شـــريعة مكتوبة تشرح الكهنوت وكرامته ومُباركته للآخرين وعمله في تقديم الذبائح. لا يوجد كلام عن الكهنوت. شرح الكهنوت ورسامة الكهنة جاء في أيام موسى وكلامه عن رسامة هارون وبنيه وعملهم، لكن أيام إبراهيم أب الآباء! من أين معرفة هذا الكهنوت إلا عن طريق التقليد!

ونُلاحظ أن في كل الإصحاحات السابقة، قبل مقابلة ملكي صادق وإبراهيم، لم ترد مُطلقًا كلمة كاهن ولا كلمة كهنوت.. هذه نقطة تثبت التقليد. وفي ذلك الحين كان رب الأسرة هو كاهن الأسرة، وهو يقدِّم عنها الذبائح، كما في عهد الآباء الأُول رؤســـاء الآباء الذين نسميهم الآباء البطاركة، مثل نوح وإبراهيم وأيوب إلى آخره.

في قصـــة ملكي صـــادق وإبراهيم نلاحظ شـــيئًا آخر، نلاحظ أن إبراهيم قدَّم العشور لكاهن الله العلي ملكي صادق، وأيضًا نسأل من أين عُرف تقديم العشور للكهنة؟ في وقت أبينا إبراهيم لا يمكن إلا عن طريق التقليد، فشـريعة العشـور لم تكن قد عُرفت بعد ولا وردت في شريعة مكتوبة.

لعل تقديم العشـــور الذي قام به أبونا أبرآم أب الآباء كان من مصـــادر التقليد التي عرفها أبونا يعقوب أب الآباء بعد الرؤيا

والسلم الواصل بين السماء والأرض.. لما قال للرب إن حفظه في الطريق وردَّه سالمًا "وَكُلُّ مَا تُعْطِينِي فَإِنِّي أُعَشِّرُهُ لَكَ" (تك٢٨: ٢٢).. قطعًا أبونا يعقوب تسَّلم شريعة العشور بالتقليد، تسلَّمها عن جده أبينا إبراهيم أو عن أبيه إسحاق، ولم يأخذها إطلاقًا من شريعة مكتوبة. **كان هذا التقليد بلا شك مُعلِّمًا للبشرية قبل الشريعة المكتوبة.**

نقطة أخرى.. قال بولس الرسول لتلميذه تيطس أسقف كريت: "مِنْ أَجْلِ هذَا تَرَكْتُكَ فِي كِرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ شُيُوخًا كَمَا أَوْصَيْتُكَ" (تي١: ٥). ولم يشرح له كتابةً طريقة إقامة القسوس هذه، كيف يُقيمهم؟ كيف يرسم الكاهن؟ لكنه أجملها في عبارة: "كَمَا أَوْصَيْتُكَ". وكما أوصيتك هذه ذُكرت شفاهًا، ولم تُكتب. وأخذ أسقف كريت تيطس طريقة إقامة القسوس عن طريق التقليد. كما قال بولس الرسول أيضًا لتلميذه تيموثاوس: "وَمَا سَمِعْتَهُ مِنِّي بِشُهُودٍ كَثِيرِينَ، أَوْدِعْهُ أُنَاسًا أُمَنَاءَ، يَكُونُونَ أَكْفَاءً أَنْ يُعَلِّمُوا آخَرِينَ" (٢تي٢: ٢). ولم يذكر ما هذا الذي سمعه منه أو تعلَّمه منه أو تسلَّمه منه، لم يُذكر في الرسالة، وإنما هذا الذي أخذه من بولس أودَعه أُناسًا أُمناء.

† † †

نقطة أخرى، **وهي موضوع تقديس يوم الأحد بدلاً من يوم السبت:**
إن كل المسيحيين البروتستانت الذين يؤمنون فقط بالكتاب المُقدَّس ويُهاجمون التقليد الكنسي، كلهم يقدِّسون يوم الأحد بدلاً من يوم السبت، ولا يتمسَّكون إطلاقًا بحرفية الآية التي تقول أُذكر يوم السبت لتُقدِّسه (خر ٢٠: ٨)، (تث٥: ١٢) في الوصايا العشر. فمن أين استقوا التعليم بتقديس الأحد بدلاً من يوم السبت؟ هل من الإنجيل، أم من التقليد؟ لا نجد في الإنجيل، ولا في كل العهد الجديد، آية واحدة تقول قدِّس يوم الأحد بدلاً من يوم السبت، إنما ذُكرت في سفر أعمال الرسل مُمارسات روحية تُوحي بهذا التسليم الإلهي وتقديس الأحد. **كان تقليدًا سارت عليه الكنيسة منذ العصر الرسولي، وكانت تجتمع في أول الأسبوع، أي الأحد، وتُقيم الصلوات فيه وتكسر الخبز فيه.**
وهذا التقليد الذي مارسه الرسل آخذين إياه من تعليم السيد المسيح لم يُذكر صراحةً فيه الأحد بدل السبت، ومع ذلك فالإجماع على تقديس الأحد في كل الكنائس هو اعتراف ضمني بالتقليد.

†††

هنا وككلمة ختامية أود أن أوضـــح ما هو هذا التقليد المحفوظ حاليًا في الكنيسة..

† يشمل هذا التقليد كل طقوس الكنيسة التي ربما من أجلها يُهاجم البروتستانت التقليد..

† ويشمل أيضًا ما يختص بممارسة الأسرار الكنسية..

† ويشمل أيضًا القوانين الكنسية، سواءً قوانين الرسل أو المجامع المسكونية أو المجامع المحلية المعترف بها.. أو قوانين الآباء القديسين.. وكل هذا لا يؤمن به البروتستانت. وبدأ الأمر بأسباب نفسية من أيام لوثر تحتاج إلى دراسة وتوضيح .

إن حرمان لوثر من الكهنوت ومن ممارســة طقوس الكنيســة التي يعملها الكاهن جعلته يُنكر كل هذا. ولما أنكره أنكر التقليد تبعًا لذلك كمصدر له، وتطوَّرت الأمور.. وهذه قصة طويلة.

سلسلة نُبذ

بقلم قداسة البابا شنوده الثالث معلم الأجيال

١- مقالتان في الرهبنة (تمنيت لو بقيت هناك – لست أريد شيئًا).
٢- عظات لاهوتية: التثليث والتوحيد.
٣- سير قديسين: دروس من حياة القوي الأنبا موسى الأسود.
٤- عظات الخدمة: مقالتان في الخدمة (الخادم الروحي – مركز الله في الخدمة)
٥- عظات لاهوتية: وراثة الخطية الأصلية.

صدر حديثًا:

٦- عظات الخدمة: التكريس.
٧- عظات روحية: يجرح ويعصب.
٨- سير قديسين: حبيب المسيح الأنبا بيشوي.
٩- عظات روحية: نقاوة القلب.
١٠- عظات الخدمة: دعوة إلى الخدمة..
١١- عظات روحية: الثبات والتقلب في الحياة الروحية.
١٢- عظات عقيدية: التقليد.
١٣- عظات روحية: الصلاة.